رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

— ٢ —

ثم رحلنا من هنا وسرنا نحو القبلة فاجتزنا قره مغرط الى ان وصلنا بعد اثنتي عشرة ساعة الى انطاكية (١) .

(١) قره مغرط قرية صغيرة في اسفل قلعة بغراس وشرقيها كان في جوارها خان قديم دثر في العهد الاخير ونقضت احجاره بعد ان كان عامراً وصالحاً لايواء القوافل والمسافرين . وقد فات الچلبي ان يصف مايراه السائح على هذه الطريق التي عبدت من عهد قريب وطولها من طوب بوغاز الى انطاكية ثلاثون كيلو متراً . وهي تسير محاذية لسفوح الجبل الاحمر التي يتركها السائح على يمينه ويرى على يساره سهل العمق الفسيح وبحيرة انطاكية الزرقاء والمستنقعات الواسعة الممتدة حولها . وهو بعد مغادرة الطريق الصاعدة غرباً الى قره مغرط وقلعة بغراس التي ترى عن بعد يمر حذاء ضيعة تدعى بغلامة تعد فرضة على شاطئ المستنقعات المتصلة بالبحيرة وفيها القوارب الرفيعة التي تغدو وتروح في هذه المياه وفي المسالك المنشقة بين قصب الآجام يركبها الصيادون الذين يفدون في الربيع لقنص الاوز والبط ودجاج الماء والشقب وغيرها من الطيور المائية واسرابها تفوق الحصر وثمة الثعالب والخنازير البرية وكلاب الماء ايضاً . ثم تجتاز الطريق وادياً عريضاً حافلاً بالبساتين فيه قريتا بدركة العرب وبدركة الشركس ثم قريتا ياقاري وسردلي وهنا يرى السائح في الافق الجنوبي جبل القصير وجبل الاقرع الشامخ كالهرم فوق البحر الى علو ١٧٥٩ متراً وبعد اجتياز قرية عواقية التي اتخذت قاعدة لناحية قره مغرط يودع المستنقعات ويدخل الاراضين المحروثة والمزروعة من سهل العمق فيرى على يساره مخرج البحيرة الضيق يمتد من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشمال الى الجنوب ويجري ماءه متثاقلاً ببطء زائد وهو يلتوي كالافعى الى ان يلاقي العاصي · وماء المخرج اصفر اللون لزج مملوء بالحنكليس الذي يصطاد بكثرة ويملح ويصدر الى البلاد · وهنا يشاهد عن بعد في الأفق الجنوبي جبل حبيب النجار او سيلبيوس المشرف على انطاكية وفي الافق الغربي جبل موسى معقل أرمن هذه الديار (١٧٠٠ متر) ثم يسير محاذياً لنهر العاصي الذي ينحرف عند جسر الحديد من الشرق الى الغرب متجهاً نحو انطاكية فالسويدية · اما سهل العمق فقد قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ماخلاصته: تبلغ مساحته ١٦٠٠٠٠ هكتار منها ٣٠٠٠٠ مما لايمكن استغلاله يدخل فيه ٢٢٠٠٠ المستنقعات و ٩ — ١٠ آلاف لبحيرة انطاكية · ويصب في هذا السهل ثلاثة انهر تأتيه من جبال عينتاب واللكام وجبل الكرد وهي عفرين وبغراوالنهر الاسود وثمة نهير يدعى البراك ينحدر من الجبل الاعلى · وجل صخور العمق طباشيرية واراضيه طينية كلسية الا في قليل من المواضع تكون صلصالية والصخور بازالتية (حرّى) · وكمية امطاره لاتزيد في السنة على الخمسمائة ميليمتر وهواؤه وبيل ووطأة الحر فيه اشد منها في الساحل وتفوح من مستنقعاته رائحة تعافها الانفس تنشأ من تفسخ نباتات الآجام وتنتشر فيه سحب قاتمة من اسراب البعوض هي علة الوبالة (حمى البرداء) التي تفتك في اهله · وسبب وجود هذه المستنقعات كون ماء البحيرة لايندفع بسهولة في المجرى الخارج منها الى العاصي حيث الميل لايزيد في الكيلومتر عن عشرة سنتيمترات وثمة سكور اقامتها اهل شطوط البحيرة لاصطياد السمك لاسيما الحنكليس والسلّور يدعونها داليان هي ايضاً من العثرات الواقفة في وجه الماء · ويقال ان مستنقعات العمق كانت قديماً اقل سعة مما هي عليه الآن ويعزى ازديادها الى الفتك بحراج جبل اللكام مما ادى الى انهيار التربة من سفحه وسيرها مدفوعة بالسيول الجارفة نحو السهل فرسبت في طريق انهره الثلاثة وتبسطت ولم يبق ثمة انحدار كاف لجريان الماء بسهولة فحدثت المستنقعات ومازالت تكثر بمرور الاعصر والاستمرار على تجريد الجبال من اشجارها حتى بلغت سعتها الحاضرة · ولو تسنى تجفيفها لطاب المناخ وامكن استغلال هذه المساحة الشاسعة بمختلف الزروع كالقطن وقصب السكر والأرز وغيرها · ويرى العارفون ان التجفيف يكون بازالة السكور التي وضعها الصيادون وبكري قاع البحيرة ومجرى العاصي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى انطاكية وتعميقها ليسهل جريان الماء وبفتح أخاديد واسعة تحصر فيها مياه الأنهر الثلاثة وغيرها من الينابيع الواردة الى العمق لتسيل فيها كما ينبغي . وجل أهل العمق عرب يسودهم نفر من سراة التركمان المنتسبين لآل مرسل وبعض الملاكين من الارمن وثمة بضع مئات من مهاجري الشركس في قرى الريحانية وبني شهر وضواحيهما جاؤا منذ نصف قرن في زهاء مائتي بيت من مهاجري الارمن اختطت لهم السلطة الفرنسية منذ عهد قريب قرى في المرعى العسكري وغيره اه .

قلت ويرى السائر الى انطاكية مستنقعات العمق وآجام القصب والاسل المنتشرة والباسقة فيه يتخللها كثير من القرى الصغيرة مما لا يمكن الوصول الى معظمها في زمن الفيضان الا بقوارب خاصة وبيوتها أخصاص من القصب المطلي بخثي البقر الجاف مكتظ بعضها ببعض بين الأوحال والادغال . وأهلها صفر الوجوه هزلى من وبال المرتع لكنهم مرزوقون في الجملة فهم يقلعون عرق السوس ويستدرون البان الجواميس ويبقى لهم قدر غير يسير من الغلة بعد اقتطاع مايصيب أصحاب القرى . والزروع الشتوية والصيفية في العمق تربو وتبسق كثيراً لزكاء تربته وهو على علاته مابرح منذ القديم ملجأ المعوزين من سكان الجبال والبقاع الممتدة بين ضواحي حلب الى شرقي اللاذقية يفدون اليه أفواجاً في السنين التي يصيبهم المحل كعامنا هذا (١٣٥) فيؤجرون من العمل في مزارعه الخصبة ويقتاتون ويمتارون بفضلات حصائده وأعشابه ثم يرجعون .

وللعمق وبطائحه ذكريات عديدة في تاريخ أمم الشرق والغرب التي استولت او جاءت تستولي على انطاكية عاصمة شمالي الشام وعروس مدنها في العصور القديمة . فالأشوريون والحثيون والفرس واليونان والرومان والمسلمون والصليبيون والمصريون بقيادة ابراهيم باشا مروا من هذا السهل ذي المكانة الحربية الكبرى أو تطاحنوا فيه بمعارك دامية . عرفه من ملوك المسلمين ابن طولون في حروبه مع سيما الطويل صاحب انطاكية سنة ٢٦٤ كما ذكرناه في بحث بغراس ووصف المتنبيء مجاري العمق وحوله في احدى قصائده يمدح بها سيف الدولة لما عزم على السفر من انطاكية الى حلب في ايام شديدة الامطار في سنة ٣٥٥ وكان أوقع في العمق باهل انطاكية الذين عصوا عليه قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما أخشى نبوّك عن طريق وسيف الدولة الماضي الصقيل
وكل شواة غطريف تمنى لسيرك ان مفرقها السبيل
ومثل العمق مملوء دماً مشت بك في مجاريه الخيول
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهون ما يمرّ به الوحول

وعرفه منجوتكين قائد جيش الفاطميين الذي اوقع بجيش ميخائيل البرجي نائب قيصر الروم في انطاكية وذلك في سنة ٣٨٤ وتعرف بوقعة المخاضة . وحصلت فيه بين نور الدين الشهيد وصليبيي انطاكية حروب كثيرة اخصها المصاف الذي كان في سنة ٥٤٣ في ارض يغرا من العمق فانهزم الفرنج وقتل منهم واسر جماعة كثيرة هذا عدا ما جرى لنورالدين حول قلاع حارم وارتاح وعم وعما جرى لصلاح الدين الايوبي وللظاهر بيبرس حول دربساك وبغراس وكلها من قلاع العمق المخصصة لحفظ انطاكية . اما حصن ارتاح الذي عده ياقوت من امنع الحصون في العواصم فقد دثر ولم يبق من رسمه الا اسمه واحدث في جواره قرية تدعى الآن « ريحانية » وكذلك الامر في عم التي ضاع رسمها واسمها وصار في مكانها قرية تدعى « بني شهر » ويسكن هاتين القريتين مهاجرو الشركس وفيهما ينابيع سلوية ورباع مروية خصبة يزرعون فيها انواع البقول التي تحصل باكراً وتصدر الى حلب . قال ياقوت : عم بكسر اوله وتشديد ثانيه قرية غناء ذات عيون جارية واشجار متدانية بين حلب وانطاكية وكل من بها نصارى وقد نسب اليها قديماً قوم من أهل العلم والحديث قال ابن بطلان في رسالته التي كتبها في سنة ٥٤٠ الى ابن الصابي: وخرجنا من حلب الى انطاكية فبتنا في بلدة الروم تعرف بعم فيها عيون جارية يصاد فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها مشارير للخنازير ومباح النساء والزنا والخمور امر عظيم وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سراً اه . وقلعة حارم لاتزال رابضة باطلالها الدارسة فوق تلها المشرف على بلدة حارم التي اصبحت مركز قضاء وفيها عدد غير يسير من الدور والابنية الرسمية والحوانيت قال ابو الفداء : حارم بلدة صغيرة ذات قلعة وأشجار وأعين ونهر صغير . قال ابن سعيد هو حصن كثير الارزاق وقد خص بالرمان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه . وقال عن دربساك : من جند قنسرين ذات قلعة مرتفعة ولها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذكر أوليا جلبي نبذة من تاريخ انطاكية قبل الاسلام وبعده ونوه بفتحها على يد السلطان سليم العثماني عقيب معركة مرج دابق ثم قال ما خلاصته (١) : وعين السلطان اذ ذاك محمد باشا البيقلي والياً على انطاكية

اعين وبساتين وهي خصبة ولها مسجد جامع ومنبر ولها من شرقيها مروج متسعة حسنة كثيرة العشب يمر فيها النهر الأسود وهي عن بغراس في الشمال بميلة الى الشرق وبينهما نحو عشرة اميال وفي شرقي دربساك يغرا وهي قرية اهلها نصارى صيادون يصيدون السمك وهي على بعد مرحلة من دربساك اه . قلت ويظن ان يغرا هي الآن قرية قالا التي اختص اهلها بصيد السلّور في بحيرة يغرا وهذه تدعى الآن كولباشي وهي الى الشمال من جسر مراد باشا على طريق حلب — قرق خان . وقد مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بالعمق بعد ان غادر حصن بغراس وقال عنها « حصن بغراس حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد الأرمن وامير هذا الحصن صارم الدين ابن الشيباني ولقد لقيت هذا الامير ومعه قاضي بغراس بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية وتيزين وبغراس ينزله التركمان بمواشيهم لخصبه وسعته » . وقال شيخ الربوة شمس الدين محمد الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٧ في كتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : ومن الثغور الساحلية الجبلية دركوش ودربساك وبغراس وحجر شغلان والاسكندرونة وقصير انطاكية ويغرا ولها بحيرة حلوة من النهر الاسود بينها وبين بغراس اه .

(١) قال ياقوت في معجم البلدان يصف انطاكية في القرن السابع : ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالنزهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . وقال ثم لم تزل بعد ان فتحها ابو عبيدة بن الجراح في ايدي المسلمين وثغراً من ثغورهم الى ان ملكها الروم في سنة ٣٥٩ بعد ان ملكوا الثغور المصيصة وطرسوس وآذنة واستمرت في ايديهم الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتلمش السلجوقي احد ملوك آل سلجوق في سنة ٤٧٧ فاستقام امرها وبقيت في ايدي المسلمين الى ان ملكها الافرنج بعد حصار شديد وطويل من واليها باغيسيان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ورامي علي افندي قاضياً وهي لاتزال بيدالعثمانيين فيها نائب ومحتسب ونقيب الاشراف وقاضي وكتخدا جند وسردار انكشارية ودزدار قلعة وفيها جنود وعتاد وعشرون مدفعاً بين كبير وصغير . وسور انطاكية مبني على خمسة

التركي على اثر خيانة احد قواده المسمى فيروز الارمني وذلك في سنة ٤٩١ . قلت وبقوا فيها الى ان افتتحها الملك الظاهر بيبرس عنوةً في سنة ٦٦٨ .

وقال ابو الفداء في القرن الثامن : « انطاكية قاعدة العواصم بلدة كبيرة ذات اعين وسور عظيم داخله خمسة اجبل وقلعة يمر بظاهرها نهر العاصي والنهر الاسود مجموعين وبها قبر حبيب النجار . قال ابن حوقل : انطاكية انزه بلدالشام بعد دمشق عليها سور من صخر يحيط بها وجبل مشرف عليها ويجري مياههم في دورهم وسككهم ومسجد جامعهم ولها ضياع وقرى ونواح خصيبة جداً . قال في العزيزي ومساحة دور السور اثنا عشر ميلاً . وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ايضاً : انطاكية قصبة السواحل وكانت احدى كراسي الروم وتسميها الروم تعظيماً لها مدينة الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من المدن القديمة ويحيط بها سور كبير يحيط على اربع جبال وشعاري ولها بساتين وحبيب النجار منها وله قصة في سورة يس في القرآن الحكيم في قوله تعالى : ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . ولها فرضة تسمى السويدية عند الساحل عند مصب العاصي في البحر اه .

ومر ابن بطوطة بانطاكية في ذلك القرن في سنة ٧٢٥ هـ فقال عنها : مدينة عظيمة أصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها ، وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الأشجار والمياه وبخارجها نهر العاصي وبنا قبر حبيب النجار وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر اه .

ومما ذكره الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية المطبوع في سنة ١٩٣١ ان عدد سكان انطاكية في يومنا هذا ٣٥٠٠٠ اكثرهم من المسلمين السنيين الترك والنصيرية العرب وأقلهم من المسيحيين العرب المنتسبين لطوائف مختلفة وفيها كثير من الفنادق الجميلة والمقاهي والنوادي والمصارف والمدارس والجوامع (اكبرها الجامع الكبير وجامع حبيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جبال ونصف قلعتها في منحدرات تلك الجبال ونصفها الثاني في سفوحها وقرب نهر العاصي . ومحيط هذا السور اثنا عشر ميلاً . وفي الحق انني لم أر حتى الآن أسواراً وأبراجاً عالية مثلما رأيت في انطاكية . وربما بلغ علو السور

النجار) والكنائس ومتحف أثري في دار الحكومة وانها اكثر ما تصدر الصابون ثم فيالج الحرير والسمك والصوف والحبوب وزيت الزيتون والقطن والقطران وزيت الغار والجلود والفواكه الطيبة وغيرها . وفيها صناعات غزل الحرير وعمل الصابون والدباغة ونسج الاقمشة الحريرية والقطنية والطنافس ونجارة الامشاط ونجارة الاثاث المعمولة من خشب الجوز وتجارة النقود والعاديات وان جسامة انطاكية في يومنا لاتزيد عن عشر ما كانت عليه في العصور الغابرة وان من أكبر أسباب انحطاطها بعد الزلازل الهائلة التي انتابتها مراراً هو تخريب الملك الظاهر ميناء السويدية . وقد كانت انطاكية بفضل هذه الميناء مركزاً تجارياً عظيماً بين ممالك البحر المتوسط والاقطار الشرقية اه . ومما قاله مونمارشة في وصف انطاكية : يمكن للسائح ان يتملى برؤية هذه البلدة الجميلة اذا وقف فوق التل المتخذ مقبرة للمسلمين وهو في شمالي البلدة على يمين العاصي وقد كان عليه فيما مضى حصن بناه كودفروا فمنه يرى دور انطاكية المبنية على الطراز التركي وقد علتها اسطحة مائلة مغطاة بالقرميد ويرى العاصي وقد عرض وضخم اكثر مما كان في حماة وعليه هنا ايضاً نواعير تدور بنغمات لا تخلو من اللطافة وتحيط بانطاكية كلها رياض تزيدها نضرةً وحبوراً . قد نورت انطاكية حديثاً بالكهرباء وسيأتون اليها بمياه الشرب من شلالات دفنة الشهيرة كما كانت في العصور الغابرة اه .

ومما قاله الشيخ كامل الغزي مؤلف نهر الذهب في تاريخ حلب عن اهل انطاكية : الجمال غالب في نسائهم وقد اشتدت في وجهائهم واعيانهم محبة الجاه والتقرب الى الحكومة يزاحمون بعضهم في ذلك ليتمكنوا من اخضاع مزارعيهم ويصونوا حقوقهم وغلاتهم منه ومن غيره من ارباب الصولة في البر . ويعد من مساوئ انطاكية كثرة الامطار والرعود والصواعق والزلازل وفي الصيف انحباس النسيم عنها في بعض الليالي وكثرة الرطوبة وقال مما انفردت به انطاكية من الفواكه المشمش العجمي المعروف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الراكب على الجبال في الجهة الشرقية نحو ثمانين ذراعاً . اما السور القريب من نهر العاصي فواطئ ولا يعلو اكثر من عشرين ذراعاً كما انه غير ضخم واذا دخلت من بابي حلب ودمشق وصعدت ترى أمامك ابراجاً وباشورات

بشكرباره والدراقن والسفرجل واليني دنيا وقصب السكر والبرتقال والليمون وانواع البطيخ الاصفر والعنب والرمان وحب الآس والعناب وانفردت ايضاً بلبن الجاموس وما يعمل منه كالزبدة والجبن فهما مما لانظير له في غيرها وانفردت بتبغها وفليفلتها الحمراء وصابونها الجيد اه . قلت واللغتان التركية والعربية شائعتان على السواء في انطاكية يتكلم الاولى المسلمون السنيون والثانية النصيرية والمسيحيون على ان كلا الطرفين يفقه لغة الآخر والترك والمسيحيون في رغد من العيش والرفه العصريين ومنهم كثير من المتعلمين . هذا وفي الجنوب الغربي من انطاكية على مقربة منها قرية تدعى الحربية فيها شلالات دفنة الشهيرة تنحدر من على نحو وادٍ سحيق وتدير عدة طواحين تدعى طواحين بيت الماء ولها خرير ورغو زائدين بين اشجار الدلب والدفلى والاعشاب الخضراء مما يبهج السمع والبصر عدا عما هنالك من المناظر الرائعة والحدائق الغناء والآثار القديمة الباقية من عهد الرومانيين الذين اتخذوا هذا المكان محلاً للقصف والنزهة . وثمة شرقي دفنة وفي الهضاب الوعرة المطلة على صوفيلر احدى قرى كورة القصير التي سيأتي ذكرها شعاب تصل الى حصن القصير كان من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب وهو مبني فوق رابية منفردة تحيط به وهاد سحيقة وخندق ولا يزال بعض ابراجه وأسواره قائماً مر به ابن بطوطة واستحسنه وذكر اسم اميره وقاضيه . وفي غربي انطاكية على ساحل البحر بالقرب من مصب العاصي السويدية وهي قرية جميلة كبيرة اهلها نصيرية وروم وعلى مقربة منها خرائب سلوقية يزورها السواح لامتاع النظر في اطلالها العجيبة وقنواتها الفخمة الممتدة تحت الارض وقد كانت سلوقية فيما مضى فرضة انطاكية ومن اعظم موانئ الساحل الشامي وظلت في زهوها الى ان ردم الملك الظاهر بيبرس ميناءها بعد استخلاص انطاكية من ايدي الصليبيين حذراً من ان يعودوا فأفل نجمها من ذلك الحين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يعلو بعضها فوق بعض . اما الاحجار التي بنيت منها هذه القلعة فهي جد ضخمة وقد ركبت والصقت بمهارة كلية . وعلو باب حلب المتجه الى الشمال نحو عشرين ذراعاً (١) وكان ينبجس من الصخور التي في داخله مياه فوارة . وفي غربي هذا الباب جسر عظيم يعبر منه فوق العاصي . ولوفرة علو الجبال المحيطة بانطاكية وارتفاع الاسوار الراكبة عليها لاتنتشر الشمس على هذه البلدة الا بعد ساعتين من طلوعها .

وفي انطاكية ثمانية قصور عظيمة اهمها قصر كتخاجا باشا فيه كثير من الابهاء والغرف العديدة المزخرفة وبابه من الحديد . واكثر دور انطاكية الفخمة واقعة على العاصي . وفيها من الاولياء حبيب النجار الذين يزعمون انه كان من حواريي السيد المسيح وبعدقتله حفظ رأسه في تكية يزورها ويتبرك بها المسلمون والنصارى على السواء . وفي انطاكية مدارس للعلوم الشرعية وكتاتيب للصبيان . وفيها تكية لحبيب النجار يهبط اليها بدرج ملئت بالدراويش وأخرى في اعلى الجبل في مكان عال مشرف يوصل اليه في خلال ساعة . وفيها حمامات تأتي مياهها من العاصي بالنواعير وفيها خانات وأسواق وحوانيت عديدة . ومياه هذه البلدة غزيرة تنحدر من الجبال العالية المحيطة بها لذلك ترى سبلها وينابيعها كثيرة كما ان الفاكهة تجود وتغزر

(١) هدم هذا الباب في الزلزلة التي حدثت عام ١٢٩٠ هـ اما الاسوار والابراج التي ذكرها اوليا چلبي فقد كانت باقية في الجملة على النحو الذي وصفها به الى ان جاء ابراهيم باشا المصري وافتتح انطاكية فنقض احجار الاسوار والابراج وبنى بها عام ١٢٤٧ ثكنة عظيمة لجيشه فلم يبق منها الآن الا آثار ضئيلة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أصنافها في البساتين التي تروى من النواعير الراكبة على نهر العاصي . هذا وبعد ان انتهينا من زيارة انطاكية عزمنا على السفر في صبيحة اليوم الاول من شوال سنة ١٠٥٨ وبعد ان أدينا صلاة العيد في جامع السوق ضرب نفير الرحيل في قافلتنا فغادرنا انطاكية متجهين نحو القبلة وبعد ان اجتزنا كثيراً من القرى العامرة نزلنا بعد ثماني ساعات في قرية الزنبقية على شاطئ العاصي (١)

(١) يظهر ان قافلة الچلبي اختارت الطريق الصاعدة في عقبات القصير بضم القاف وشعابه وطوله ثلاثون كيلومتراً لم يتم تعبيدها بعد وفيها قرى عامرة كما قال وهذا الطريق ممر القوافل منذ القديم فقد سلكها الرحالة ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ حينما مر بحصن القصير ثم بحصن الشغر بكاس . والقصير كورة جبلية خضراء يحدها من الشمال والشرق وادي العاصي ومن الغرب البحر ومن الجنوب ينابيع نهر الكبير الشمالي وهي تشمل الآن ناحية الحربية والنواحي الثلاث القصير الفوقاني والوسطاني والتحتاني وناحية الاردو وكسب . وهذه النواحي الست تتبع قضاء انطاكية وثمة ناحية دركوش تتبع جسر الشغر وفيها سلسلتان من الجبال ممتدتان من الشمال الى الجنوب تتصل بها فروع واعضاد كثيرة تجعل هذه الكورة ذات حزون ونجود متموجة يتراوح علوها من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ متر في الاكثر وفيها نهران يصبان في العاصي الاول نهر الابيض يخرج من هضاب الاردو مياهه عذبة والثاني نهر البواردة يخرج من قرب قلعة القصير ويصب في الشمال جنوبي جسر الحديد . وهي في الغرب في جهات الاردو وكسب منداة بمختلف الحراج الجميلة أخص اشجارها الصنوبر الحلبي واللبنة والبلوط اما في الشرق فهي خالية من ذلك ولكن اوديتها ومنحدراتها مغروسة بمختلف الاشجار المثمرة لاسيما الزيتون يأتي بعده التوت واللوز والتين والمشمش وفي منخفضاتها الرطبة الحور والدلب والصفصاف والدفلي . وهذه الكورة كثيرة الغلال وافرة الخيرات تتوالى على سكانها المواسم واجل موسم فيها الزيتون ويصدر زيته الجيد الى انطاكية وصنع الصابون ثم يأتي بعده الحرير والبطيخ والتين والعنب والجبن والسمن والحنطة القصيرية مشهورة في هذه الربوع ومفضلة على غيرها وطيور الصيد ودوابه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذه القرية واقعة في واد خصب له كروم وحدائق ذات بهجة وفيهـا نحو ثلاثمائة بيت . وقد اشتهرت بجودة تينها وجمال زنبقها . وهنا أقام علي باشا

كثيرة . ويبلغ سكان هذه الكورة في النواحي التي عددناها زهاء ٤٥٠٠٠ معظمهم من التركمان السنيين ويأتي بعدهم العرب السنيون ثم النصيرية وثمة قرى للأرمن واخرى للروم وواحدة للاسماعيلية تدعى جندالية وتاريخ هذه الكورة مرتبط بتاريخ انطاكية وقد كانت تمر منها الجيوش الزاحفة نحو هذه العاصمة من اللاذقية او من جسر الشغر وفيها من الحصون المنيعة التي كانت تحفر انطاكية من جنوبها القصير ودركوش والشغر وبكاس وكفردبين . وفيهـا الآن من امهات القرى (قرية الشيخ) وهو الشيخ اسماعيل القصيري كان معدوداً من الاولياء وضريحه لايزال مقصوداً بالزيارة ولاحفاده في هذه الديار حرمة زائدة وقد اتخذت هذه القرية قاعدة لناحية قصير الفوقاني وفي غربيها نجود هي اعلى ما في هذا الجبل لها منظر جميل وهواء نقي تشرف على وادي العاصي والجبل الاحمر وسهل العمق والجبال المحيطة به وقرية (بابطرون) قاعدة ناحية القصير الوسطاني و (قارصو) قاعدة ناحية القصير التحتاني وهناك قرية (الاردو) وهي قصبة الناحية واهلها تركمان ثم (كسب) واهلها أرمن وفيها دير كبير للرهبان الفرنسيسيين ومنها يمكن الصعود الى جبل الاقرع الشامخ . وفي الشرق من الامهات قرية (دركوش) قاعدة هذه الناحية اهلهـا عرب سنيون عددهم (٢٥٠٠) مبنية على يسار العاصي في اضيق مكان من واديه يعلوهـا من الغرب جبل شامخ وعلى العاصي نواعير كما في حماة . عدّ شيخ الربوة دركوش من الثغور الساحلية الجبلية وقال عنها ياقوت : دركوش حصن قرب انطاكية من اعمـال العواصم اه . وقد زالت آثار هذا الحصن المنيع الذي عجز هولاكو عن فتحه وينتج في دركوش فواكه جيدة كالتفاح والرمان ترسل الى حلب . وهناك (القنية) قرية جميلة اهلهـا كاثوليك فيها دير للرهبان الفرنسيسيين وماؤها قليل وبقربها (كفردبين) على رابية وكان لهـا حصن ذكره ياقوت يمر من تحته الدرب الذاهب الى (حمة الشيخ عيسى) وهي ذات مياه معدنية حديدية حارة تنفع للاستشفاء من داء المفاصل يقصدها الناس من كل الجهات ولو شيدت فيها ابنية صالحة للاستحمام وللمبيت لزاد الاقبال عليها . ومن الامهات (قارباز) اهلها تركمان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجانبولاد لمرتضى باشا وليمةً عظيمةً لم يسمع بمثلها . فقد اكل كل الجند الذي بمعية علي باشا وعده كان ينوف على الستة آلاف واكل خلق عظيم لايسعه الحصر ممن حضر من الجوار ومع ذلك فقد بقيت الصحون والقدور

وعلوها ٨٠٠ متر وتعد اكبرواغنى قرى القصير اشتهرت بعنبها الفاخر ولوزها . و(جنيدو) واهلها روم يقام فيها في فصل الصيف سوق عام كل يوم خميس وفي غربيها طريق تأخذ الى قلعة القصير الأثرية التي ذكرناها في بحث انطاكية . و (صورية) وهي كبيرة وأهلها روم فيها مدرسة وكنيسة ومعاصر زيتون .

والسائر في الطريق الذي سلكته قافلة الچلبي بعد ان يغادر انطاكية يتسلق عقبات جبل القصير وشعابه وهضابه فيمر بقرى نارنجه وقيابينار ثم يجتاز وادي نهر البواردة ثم بقرية الفاتكية التي اشتهرت بكثرة أشجارها وفاكهتها ثم بصورية وقليزان ومزرعة التركمان وفلنجار وكفر عابد وسفرية وقاربينار والهيتة التي تنتهي فيها حدود لواء الاسكندرونة وبالقنية حتى يصل الى جسر الشغر . ولعل قافلة الچلبي انحرفت من قارباز الى الزنبقية وهي الآن ضيعة صغيرة قرب دركوش فيها أطلال خان قديم ثم تابعت سيرها نحو الجنوب مارة بدركوش وبالقنية الى ان وصلت الى جسر الشغر . هذا والمجتاز هضاب هذه الطريق لابد ان يلمح من أعاليها في الأفق الممتد شرقي العاصي آكام جبل الأعلى الغربية الغضراء وجلها مزدان باشجار الزيتون تختفي في أوديتها بلدان صغيرة جميلة عامرة كحارم وسلقين وكفر تخاريم وأرمناز وقرى اسقاط والعلاني وتل عمار والدويلي وهذه فيها حصن خراب وفي جنوبها الجبل الوسطاني الحائل بين سهل الروج ووادي العاصي ويناوحه من الشرق جبل بني علیم الذي صار يسمى الآن جبل الزاوية نسبة لزاويةٍ في قرية منه تدعى أم رعيان ويسمى القسم الشمالي منه جبل الاربعين لمقام فيه يعرف بمقام الاربعين اختص بالاشجار المثمرة التي تنبت عذيًا كالكرز والكثرى والتفاح والتين والجوز والعنب وهو صحيح الهواء طيب الماء ذو مناظر جميلة تشرف على سهول حلب الغربية الشاسعة وما فيها من البلدان والقرى كأريحا وادلب ومعرة مصرين وسرمين وغيرها . وفي جبل الزاوية كله قبور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ملآنة بالأطعمة النفيسة . وأهدى علي باشا الى مرتضى باشا ثلاث أفراس من عتاق الخيل فقابله مرتضى باشا بفرو من السمور المرصع (١) . ثم استأنفنا المسير الى الجنوب الى ان وصلنا الى جسر الشغر وهو مكان موحش على شاطيء العاصي وتحيط به مروج خضراء وفيه خان صغير . على ان الأمن هنا مفقود نرجو الله ان يوفق اهل الخير لعمران هذا المكان وتوطيد الامن فيه

كثيرة منقورة في الصخور وخرائب أثرية أهمها في قرى أم رعيان والمغارة والحاس وادرم الجوز وكفرلاتا والبارة . والبارة هذه تشبه خرائب بومبي في ايطاليا لا تزال قصورها ومعابدها وشوارعها كما كانت تمتد في مساحة واسعة تدل على ما كانت عليه هذه المدينة من العظمة . هذا وبين جبل الزاوية والجبل الوسطاني سهل الروج المشتهر بخصبه وكثرة مناقعه ورداءة هوائه (مساحته ٢٠٠٠٠ هكتار منها ٩٠٠٠ مستنقعات) وبما كان في كورته لصليبي انطاكية من المعاقل المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب . قال عنه ياقوت : الروج كورة من كور حلب المشهورة في غربيها بينها وبين المعرة ولها ذكر في الأخبار .

(١) من هو هذا الباشا الكبير الذي استطاع ان يقوم بتلك الوليمة العظيمة . لم يذكر الچلبي وظيفته ولا من أين أتى وما سبب مجيئه لمقابلة مرتضى باشا إذ لا بد ان يكون غير علي باشا الجانبولاد الشهير الذي حكم حلب في سنة ١٠١٤ ثم خرج عن طاعة الدولة العثمانية وحارب جيوشها مدة مديدة الى ان قتل في سنة ١٠٢٠ أي قبل مرور قافلة الچلبي بثماني وثلاثين سنة على ما رواه المحبي في خلاصة الأثر . ولما حسبته انه والي حلب جاء يحتفي بزميله مرتضى باشا وجدت (سالنامة ولاية حلب) تذكر في قائمة اسماء ولاتها احمد باشا الدباغ في سنة ١٠٥٧ ومصطفى باشا الموستاري في سنة ١٠٦ والچلبي لم يذكر احداً منهما . فهل كان مخطئاً في بيان الاسم ؟ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليسهل مرور الحجاج منه (١) .

«للبحث صلة» وصفي زكريا

(١) يظهر ان رجاء الچلبي استجيب فوراً . لان محمد باشا الكوبرلي الشهير الذي كان نائباً في طرابلس الشام قبل ان يصبح صدراً اعظم مر من هنا بعد مدة وجيزة من مرور الچلبي فرمم الجسر الكبير المعقود فوق العاصي وقيل انه هو ايضاً بنى الجامع الكبير وخاناً وحماماً فعمرت بلدة الجسر على يد هذا الوزير بعد دثورها لانه كان في مكانها في العصور الغابرة على ما قاله الافرنج بليدة اسمها Niaccuba او Séleucie ad Bellum ومن الغريب ان جغرافيي العرب لم يذكروا عنها شيئاً . واكتفى ابوالفداء بذكر السوق العام الذي كان يقام قرب جسرها وقد دعاه جسر كشفهان . ومهما يكن فلهذا الجسر مكانة لاتنكر من الناحية الحربية والاقتصادية فقد كان يمر منه الرصيف الروماني القديم الذاهب من اللاذقية الى حلب الذي لاتزال آثاره ظاهرة في موقع يسمى اسفكون قرب خان الزعرور . وليس جسر الشغر مستقيماً بل في وسطه كوع جعل لمقاومة دفع العاصي كما ان ظهره أفقي ليس فيه الاحديداب الذي يرى في معظم جسور البلاد الشامية وطول هذا الجسر اربعمائة متر معقود على اربع عشرة قنطرة تدل حجارتها على انه رمم مراراً وفي منتصفه وعلى جانبه حجرة زبرت عليها كتابة عربية فيها اسم جقمق ولعله الملك الظاهر جقمق الذي حكم مصر والشام في سني ٨٤٢ — ٨٥٧ . وفي بلدة جسر الشغر الآن من السكان سبعة آلاف اكثرهم مسلمون وفيها دار للحكومة جديدة ومساجد ومدارس ودور للاهلين مبنية بالحجر الابيض حسنة في الجملة ويمر منها طريق السيارات الذاهب من اللاذقية الى حلب لكن هواءها رديء لقرب مستنقعات الروج والغاب منها . وفي اواخر القرن الماضي جعلت مركزاً لقضاء يشمل قسماً من سهل الغاب وجبال النصيرية وتتبعه ناحيتا الجسر ودركوش . ومعظم سكان هذا القضاء من العرب السنيين والنصيرية وقليل من التركمان القاطنين في مرتفعات جبل القصير ومن الروم في قريتي القنية وانكزيك وتكثر اشجار الزيتون في بقعة التركمان والاشجار المثمرة والكرمة في قرى بداما والجسر ودركوش والقنية وزراعة الارز والقطن في سهول قسطون وماجاورها . وفيه من المحاصيل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بزر الخردل وجزور المحمودة المعروفة في الطب باسم سقمونيا . واشتهرت فيه قرية اشتبرق بحدائقها وينابيعها ومتنزهاتها وانكزيك بجودة هوائها وصلاحها للاصطياف وزعينة بحراجها ومياهها ومصائدها وقسطون بخصب تربتها وبليس ومشمشان وعين عيسى وبشلون بذكرياتها التاريخية . وكان لبلدة الجسر على بعد ساعة في شماليها قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق كل واحدة تناوح الاخرى وفوق الوادي جسر كان يعبر من فوقه من احداهما الى الأخرى . مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بحصن الشغر وبكاس وقال انه منيع في رأس شاهق وذكر اسم اميره وقاضيه ونوه بفضل الأول وان الثاني من اصحاب ابن تيمية . وقال ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ : الشغر وبكاس من جند قنسرين قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتهما نهر يجري ولهما بساتين وفواكه كثيرة ولهما مسجد جامع ومنبر ورستاق وهما بين انطاكية وفامية على قريب منتصف الطريق بينهما وفي شرقيهما على شوط فرس جسر كشفهان وهو جسر على النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشغر وبكاس في جهة الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال اه .

فيستدل من هذا الوصف ان كشفهان ربما كانت هي بلدة جسر الشغر الحالية . وكانت الشغر وبكاس وما حولها من الحصون من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية ومركز اتصال قواتهم بقوات قمص طرابلس وملك القدس ومن هنا كانوا يغيرون على المسلمين في شيزر وحماة عن طريق افامية وعلى حلب عن طريق سهل ادلب . وظل هذا الحال الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب سنة ٥٨٤ فافتتح انطرطوس وجبلة وصهيون والشغر وبكاس وحصن برزية ودربساك وبغراس فاصبحت انطاكية بعد فقدان هذه المعاقل كما قال في الروضتين « معدومة الاطراف قد قطعت ايديها وارجلها من خلاف » . ولم يبق الآن من آثار هاتين القلعتين الا اسس الجدران واحجارها المتهدمة وعلى بعضها كتابات عربية . وعلى مقربة من القلعتين قرية تدعى الشغر القديم تحيط بها المزارع والحدائق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net